مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٣)، العدد (١)، ص ص ٢١٥-٢٥١ (يناير ٢٠١٠م / محرم ١٤٣١هـ)

طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة النبوية

خالد بن إبراهيم بن سليمان الرومي

الأستاذ المشارك في قسم السنة وعلومها بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(قدم للنشر ١٤٣٠/٦/٢٣هـ؛ وقبل للنشر ١٤٣١/٢/١٠هـ)

ملخص البحث: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إنّ من الثوابت القطعية الأصيلة في دين الإسلام وجوب طاعة الرسول ﷺ لأن طاعته أوجبها الله تعالى وأوجبها ﷺ، وهي من طاعة الله تعالى. وقد تكاثرت نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية على فضل طاعة الرسول ﷺ وأنّ من فضائلها ما يلي:

١- أنّها من طاعة الله تعالى.

٢- أنها سبب لدخول الجنة.

٣- أنها وسيلة النجاة في الدنيا والآخرة.

٤- أنها تعصم من الانحراف والضلال.

وقد أبرز البحث عددًا من التطبيقات العملية للصحابة الكرام رضي الله عنهم في طاعتهم للرسول ﷺ في السنة النبوية.

كما أثبت البحث آثار طاعة الرسول ﷺ وثمراتها وأنّ من ذلك ما يلي:

١- تحقيق الاتباع والاقتداء.

٢- البعد عن الابتداع في الدين.

٣- تحقيق محبة النبي ﷺ.

٤- تحقيق شهادة أن محمدً رسول الله.

وقد تم إيضاح ذلك - بفضل الله - من خلال ما ورد في السنة النبوية وأقوال أهل العلم وتوثيقها من خلال المصادر العلمية الأصيلة في هذا البحث، نسأل الله الإخلاص في القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير النبيين، وسيد المرسلين، وإمام الدعاة والمصلحين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من أصول الدين الثابتة، وركائزه المهمة طاعة الرسول ﷺ، ولا يتحقق إيمان العبد إلا بهذه الطاعة، ولا يحقق العمل بمقتضى الشهادتين إلا إذا أطاع الرسول ﷺ في كل أمر من أمور حياته.

والسنة النبوية جاء فيها كثير من النصوص التي تبرز وجوب هذه الطاعة، وأن طاعة النبي ﷺ من طاعة الله تعالى، وأن دخول العبد الجنة متوقف على مدى طاعته للنبي ﷺ، والتي هي من طاعة الله تعالى، إذ أن طاعته هي وسيلة النجاة في الدنيا والآخرة. وتعصم العبد من الانحراف والزيغ والضلال. وتضعه على طريق الاستقامة والرشاد.

والناظر المتأمل في نصوص السنة النبوية يمكنه أن يقف على الكثير من المواقف التي حرص فيها الصحابة رضي الله عنهم على طاعةالنبي ﷺ وذلك لإدراكهم أهمية هذه الطاعة، وأنه لا يدعوهم إلا إلى خير ولا يرشدهم إلا لما فيه مصلحتهم، ويحقق سعادتهم ومنفعتهم.

وما من شك أن طاعة الرسول ﷺ لها آثارها الحميدة وثمراتها الطيبة، فبقدر استمساك العبد بطاعة النبي ﷺ يبتعد عن الابتداع في الدين، ويحقق الاتباع والاقتداء، ويجسد عمليًا محبته ﷺ، وقبل ذلك كله فإنه يمثل عمليًا تحقيق الركن الأول من أركان الإسلام.

وبناء على هذا فإن هذا البحث يأتي ليكشف هذه الجوانب. ويبرز هذه النقاط لأهميتها في حياة المسلم، وقد قام على تمهيد حول وجوب طاعة النبي ﷺ وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فضل طاعة الرسول ﷺ في السنة النبوية.

المبحث الثاني: تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم لطاعة الرسول ﷺ في السنة النبوية.

المبحث الثالث: آثار طاعة الرسول ﷺ وثمراتها.

وقد حرصت على الاعتماد على السنة الصحيحة والمصادر الأصيلة، نسأل الله أن يجعلنا ممن حققوا مصداقية مضامين هذا البحث عمليًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

التمهيد: وجوب طاعة النبي ﷺ

دلّت الأحاديث النبوية على وجوب طاعة الرسول ﷺ في كل ما أمر به ونهى عنه. ذلك لأن طاعته ﷺ من طاعة الله، وطاعته تمثل الانقياد للوحي الإلهي المتمثل في القرآن والسنة إذ لا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، ولا يمكن تحقيق الإيمان بالوحي إلا إذا حقق المسلم الطاعة للنبي ﷺ الذي أُنزل عليه هذا الوحي، وكما أن القرآن

وحي فإن السنة أيضًا وحي من الله عز وجل، وكما يجب طاعة الله عز وجل فكذلك تجب طاعة النبي محمد ﷺ ومن الممكن أن نستدل ونستنبط وجوب طاعةالنبي ﷺ من خلال قوله ﷺ فيما يرويه المقدام بن معدى يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((ألاَ إنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ألاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهذا الْقُرآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ. ألاَ لاَ يَحِلُّ لَكُم لحم الْحِمَارُ الأهْلِيُّ وَلاَ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَلاَ لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إلاَّ أنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أنْ يَقْرُوهُ فَإنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أنْ يَعْقُبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ))[1].

وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ((لاَ أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأمْرُ مِنْ أمْرِي مِمَّا أمَرْتُ بِهِ أوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لاَ نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله اتَّبَعْنَاهُ))[2].

وهذان الحديثان يشيران إلى أن السنة وحي ومن ثم يجب اتباع وطاعة الرسول ﷺ فيما جاء به من السنة.

قال الخطابي رحمه الله: (قوله: "أوتيت الكتاب ومثله معه" يحتمل وجهين من التأويل:

أحدهما: أن يكون معناه: أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو.

الثاني: أن يكون معناه: أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى وأوتي من البيان: أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، ويَعمرَ ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به: كالظاهر المتلو من القرآن.

وقوله: "يوشك شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن" فإنه يحذر بذلك من مخالفة السنن التي سنّها رسول الله ﷺ مما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، وتركوا السنن التي قد ضُمنِّت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا وقوله: "على أريكته" أراد بهذه الصفة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم ولم يغدوا ولم يروحوا في طلبه في مظانه واقتباسه من أهله)[3].

وقال الشيخ صالح الفوزان: (وهذا الحديث فيه معجزة عظيمة من معجزات النبي ﷺ، فالنبي ﷺ حذرنا من هؤلاء وبيّن لنا أنه ﷺ أعطي القرآن وأعطي السنة كلاهما من عند الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[4].

---

(١) أخرجه أبو داود. رقم ٤٦٠٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ٣٨٤٨.

(٢) أخرجه أبو داود، رقم ٤٦٠٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ٣٨٤٩.

(٣) معالم السنن، مطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، وتهذيب السنن لابن القيم، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد حامد الفقي، (ط/ دار المعرفة، بيروت) ٨/٧.

(٤) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

أما ما قالوه من أن القرآن نقل بالتواتر وأنه ثابت قطعًا وأما السنة فهي ثبت برواية الآحاد من الرواة ويدخلها شيء من الخلل فهي ليست كالقرآن فهذا قول باطل وحجة داحضة لأن السنة ما جاءت عفوًا، وليست كقصص الأدباء والخرافيين ونحوهم بل لروايتها طرق وضوابط، ولها رجال يحفظونها ويحرسونها من عهد النبي ﷺ إلى عهدنا وإلى ما يشاء الله، والسنة محروسة محفوظة بحفظ الله عز وجل فليس لمتلاعب مجال في سنة الرسول ﷺ)[٥].

وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن جمع بين الكتاب والسنة فقد استوفى وجهي البيان فإن الله جل ثناءه وتقدست أسماؤه بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتابه الهدى والنور لمن اتبعه، وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما قصد له الكتاب فكان رسول الله ﷺ هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه، شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه ﷺ واصطفاهم له، ونقلوا ذلك عنه فكانوا هم أعلم الناس برسول الله ﷺ، وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم، وما قصد له الكتاب فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله ﷺ)[٦].

ومما يدلل من الأحاديث على وجوب طاعة النبي ﷺ فيما يأمر به وفيما ينهى عنه ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ. فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ. فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ. وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ))[٧].

وهذا يدلل على وجوب طاعة النبي ﷺ في الأمر والنهي وكل ما يشتمل عليه الإسلام.

وإذا وجبت طاعة الرسول ﷺ فلا يقال: إن طاعة الرسول ﷺ تعني الشرك بالله ذلك لأن الله جعل طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، فالطاعة هنا لله وليست للرسول ﷺ لأن الرسول ﷺ لم يكن ينطق إلا بوحي من الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٨]، فمن أراد طاعة الله فليطع الرسول ﷺ.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (يخبر الله تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وقد عُلم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ﷺ سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة الذي لا ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو

---

(٥) مكانة السنة في الإسلام، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان، (ط/٣، وقف الإسلام الخيري: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٢٦.

(٦) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، (ط/ دار الجيل، بيروت) ٢/٢٩٠.

(٧) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

(٨) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

صدق وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه فما يوافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله)[٩].

المبحث الأول: فضل طاعة الرسول ﷺ في السنة النبوية

لقد جاءت نصوص كثيرة من الأحاديث في السنة النبوية تبين فضل طاعة الرسول ﷺ وأبرز هذه النصوص فيما يلي:

١- طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى

والدليل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن أطاعني فقد أطاعَ اللهَ ومن عصاني فقد عصى اللهَ، ومن أطاعَ أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني))[١٠].

قال ابن حجر رحمه الله: (وهذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[١١]، أي لأني لا آمر إلا بما أمر الله به، فمن فعل ما آمره به فإنما أطاع من أمرني أن آمره، ويحتمل أن يكون المعنى: لأن الله أمر بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي، وفي المعصية كذلك، والطاعة هي الاتيان بالمأمور به، والانتهاء عن المنهي عنه، والعصيان بخلافه)[١٢].

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: (وقوله ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله" هذا مأخوذ من القرآن، وذلك أنه ﷺ لما كان مبلغًا أمر الله وحكمه، وأمر الله بطاعته فمن أطاعه فقد أطاع الله، ونفّذ حكمه)[١٣].

ومما يدل أيضًا على أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ما جاء في الحديث عن جابر بن عبدالله { يقول: ((جاءت ملائكة إلى النبيِّ ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ، فقالوا: إن لِصاحبكم هذا مثلاً، قال: فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظان، فقالوا: مثلهُ كمثل رجلٌ بَنى دارًا وجَعَلَ فيها مأدُبةً وبَعثَ داعيًا، فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ

---

(٩) تفسير القرآن العظيم، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (ط/٢، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ١٩٩/٦.

(١٠) أخرجه البخاري ٧١٣٧، ومسلم ١٨٣٥.

(١١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(١٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ط/٢، دار الريان، القاهرة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ١٢٠/١٣.

(١٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرين، (ط/٣، دار ابن كثير، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ٣٥/٤.

وأكلَ من المأدبة، ومن لم يجبِ الداعيَ لم يدخل الدار ولم يأكل منَ المأدبة. فقالوا: أولوها له يَفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانٌ، فقالوا: فالدارُ الجنة والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاعَ محمدًا فقد أطاعَ اللّه، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى اللّه، ومحمدٌ فرْق بينَ الناس))[١٤].

فهذا الحديث يبين أيضًا أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، وعصيان محمد ﷺ من معصية الله تعالى.

قال القاضي عياض رحمه الله: (وإذا وجب الإيمان به ﷺ وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به، ولقد جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه، قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به. وقالوا: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه. وقالوا: من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه، وسئل سهل بن عبدالله عن شرائع الإسلام فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[١٥]، وقال السمرقندي: يقال: أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته، وقيل: أطيعوا الله فيما حرّم عليكم والرسول فيما بلّغكم ويقال: أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية، والنبي بالشهادة له بالنبوة. فطاعة الرسول من طاعة الله، إذ الله أمر بطاعته، فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له)[١٦].

وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[١٧]. فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني.

قال الشيخ صالح الفوزان: (ولقد أمرنا الله عز وجل بطاعة الرسول ﷺ، وأخبر أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله، ومن طاعة الرسول امتثال ما يثبت عنه ﷺ من السنة والعمل بذلك، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[١٨]، فأمر الله تبارك وتعالى بأخذ كل ما آتانا الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي والتشريعات وأن ننتهي عن كل ما نهانا الرسول ﷺ عنه)[١٩].

---

(١٤) أخرجه البخاري ٧٢٨١.

(١٥) سورة الحشر، الآية: ٧.

(١٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، (ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ٢/٣٦٩ - ٣٧٠.

(١٧) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

(١٨) سورة الحشر، الآية: ٧.

(١٩) مكانة السنة في الإسلام، د. صالح بن فوزان الفوزان ص ١٣ - ١٤.

٢- طاعة الرسول ﷺ سبب لدخول الجنة

وقد صرحت الأحاديث النبوية بذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((كلُّ أمتي يَدخلونَ الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسولَ اللّه ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخلَ الجنة، ومن عصاني فقد أبى))[٢٠].

قال البدر العيني رحمه الله: (وهذا الحديث مطابق لترجمة الباب: "باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ" أي هذا باب في بيان وجوب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وسننه وأقواله وأفعاله وأمر الله عز وجل عباده باتباع نبيه والاقتداء بسننه وقوله: "من طاعني" فإن من أطاعه يعمل بسنته وقوله: إلا من أبى" أي: امتنع عن قبول الدعوة أو امتثال الأمر فإن قلت: العاصي يدخل الجنة أيضًا إذا لا يبقى مخلدًا في النار قلت: يعني لا يدخل في أول الحال أو المراد بالاباء الامتناع عن الإسلام)[٢١].

لقد بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث بيانًا واضحًا أن دخول الجنة مرتبط بطاعته "ولقد أفاد هذا الحديث أن دخول الجنة مشروط بطاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ وكل متبع لهما فهو محب لهما، ومعصيتهما دليل عدم حبهما، وإن ادعى المدعون خلاف ذلك"[٢٢].

وقد دلَّ الحديث أيضًا أن من يخالف النبي ﷺ ولا يطيعه فإنه قد أبى وامتنع وعصى فليس أهلاً لدخول الجنة.

"وكل أمة الدعوة يدخلون الجنة، وأمة الدعوة هم من أطاعوا الرسول ﷺ واتبعوا سننه إلا من امتنع من دخولها وأعرض عن بابها، وهو أمر يثير التساؤل، إذ الكل يتمنى الجنة ويرجو الثواب وقد بينه النبي ﷺ: "ومن عصاني فقد أبى" والعصيان مخالفة السنة، وقد يصل الأمر إلى تحريفها جهلاً أو عنادًا، وهو البدعة المذمومة، فعلى المؤمن أن يحرص على كل خير يمكن تحصيله وإلا ندم على ما فرط، وتحسر على ما فات"[٢٣].

وقد بينت الأحاديث النبوية أيضًا أن كل متبع وطائع للنبي ﷺ يشرب من حوضه، وكل مخالف عاص مبتدع يزاد عن الحوض فلا يشرب منه أبدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ. وَأَنَا أَذودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجلِ عَنْ إِبِلِهِ» قَالُوا: يا نَبِيَّ اللّهِ أَتَعْرِفُنَا؟! قَالَ «نَعمْ. لَكُمْ سِيمًا لَيْستْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ. تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوَضُوءِ. وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلاَ يَصِلُونَ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! هؤُلاَءِ مِنْ أَصْحَابِي. فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟)).

وفي رواية: ((...أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُزَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ أَلاَ هَلُمَّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحقًا فَسُحقًا))[٢٤].

---

(٢٠) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٢١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد بن أحمد العيني، (ط/ دار الفكر، بيروت) ٢٧/٢٥.

(٢٢) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى البغا وآخرون. (ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ١٤٨/١.

(٢٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، (ط/١، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)ص ١٣٩.

(٢٤) أخرجه مسلم ٢٤٧، ٢٤٩.

قال الإمام النووي رحمه الله: (وقد اختلف العلماء في المراد بهذا فقيل: إن المراد به أصحاب الكبائر والمعاصي والبدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام. قال أبو عمر بن عبدالبر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء. قال: وكذلك الظلمة المسرفون في جور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر)[٢٥].

فمن أطاع الرسول ﷺ له الجنة والشرب من الحوض، ومن عصاه فله النار والزود عن الحوض.

٣- طاعة الرسول ﷺ وسيلة النجاة في الدنيا والآخرة

إن مما يدلل على أن طاعة الرسول ﷺ هي وسيلة النجاة في الدنيا والآخرة ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[٢٦].

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله: (هذا ضربٌ مثل لحاله في الإنذار ولأحوال السامعين لإنذاره فإنه أنذرهم بما علمه من عقاب الله، وبما يتخوف عليهم من فجأته، فمن صدقه نجا، ومن أعرض عنه هلك وقوله: "وإني أنا النذير العريان" هذا مثل قيل كان أصله أن رجلاً مُعَيَّنًا سلبه العدو، فانفلت منهم فأنذر قومه عريانًا. وقيل: كان الرجل من العرب إذا رأى ما يوجب إنذار قومه تجرد من ثيابه واشار إليهم ليعلمهم بما دهمهم وهذا أشبه وأليق بمقصود الحديث)[٢٧].

وقال الطيبي رحمه الله: (المثل: الصفة العجيبة الشأن أي صفتي وصفة ما بعثني الله به من الأمر العجيب الشأن كصفة رجل أتى قومًا وشأنه "والنذير العريان" مثل ساير يضرب لشدة الأمر ودنو المحذر، وبراءة المحذر عن التهمة.

"والنجاة" مصدر نجا إذا أبرع يقال ناقة ناجية أي مسرعة.

وهذا التشبيه من التشبيهات المفرقة شبه ذاته ﷺ بالرجل وما بعثه الله من إنذار القوم بعذاب الله القريب بإنذار الرجل قومه: بالجيش المصبح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل في إنذاره وصدقه وفي قول الرجل: أنا النذير إلى آخره أنواع من التأكيد أحدها: بعيني؛ لأن الرؤية لا يكون إلا بها. وثانيها: قوله: "أنا"

---

(٢٥) شرح صحيح مسلم. الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض) ص ٢٦٥.

(٢٦) أخرجه البخاري ٧٢٨٣، ومسلم ٢٢٨٣.

(٢٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي ٦/٨٥.

وثالثها: العريان فإنه دل على بلوغ النهاية في قرب العدو، وفي ذلك تنبيه على أنه الذي يختص في إنذاره بالصدق، والذي لا شبهة فيه وهو الذي يحرص جدًا على خلاص قومه من الهلاك. وقال في القرينة الأولى: فأطاعني وقابله في الثانية: بكذب؛ ليؤذن بأن الإطاعة مسبوقة بالتصديق، ويشعر أن التكذيب مستتبع العصيان كأنه جمع في كل من الفقرتين بين المعنيين)[٢٨].

لقد بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن من يطيعه ويتبعه سينجو من الهلاك في الدنيا والآخرة، وأن من يعصيه ويخالفه فله الهلاك والدمار بل دلت الأحاديث النبوية أيضًا أن في طاعة الرسول ﷺ النجاة من الكفر، ولا أدل على ذلك من الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي ﷺ فكان من فضل طاعته للنبي ﷺ أنه أسلم وأنجاه الله من الكفر والعياذ بالله.

فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان غُلامٌ يهوديٌّ يَخدُمُ النبيّ صلى الله عليه وسلم فمَرِضَ، فأتاهُ النبيُّ ﷺ يَعودُهُ، فقعَد عندَ رأسِهِ فقال لهُ: أسلِمْ. فنظَرَ إلى أبيهِ وهوَ عندَهُ، فقال له: أطِعْ أبا القاسِمِ ﷺ. فأسلمَ.فخَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمدُ للّهِ الذي أنقَذَهُ منَ النار))[٢٩].

قال ابن حجر رحمه الله: (وفي رواية أبي داود وأبي خليفة: "أنقذه بي من النار" وفي الحديث جواز استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض وفيه حسن العهد واستخدام الصغير وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته منه ما عرضه عليه وفي قوله: "أنقذه بي من النار" دلالة على أنه صح إسلامه)[٣٠].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وفي هذا الحديث جواز عيادة المريض اليهودي لأن النبي ﷺ عاد الغلام ولكن يحتمل أن تكون عيادة النبي ﷺ له كانت من أجل خدمته إياه وأن هذا من باب المكافأة، ويحتمل أن الرسول ﷺ عاده ليعرض عليه الإسلام وفي الحديث أنه يجب على من عاد المريض أن يرشده إلى الحق ويرغبه فيه، وفيه أيضًا أن الأب قد يؤثر ابنه في الخير وهو لا يفعله فهذا اليهودي أشار على ابنه أن يطيع أبا القاسم ويسلم، ولكنه هو لم يسلم، فالأب قد يحب لابنه الخير وهو محروم منه والعياذ بالله.

وفي الحديث دليل على أن النبي ﷺ حق ودليل ذلك أن اليهودي قال لابنه: أطع أبا القاسم والحق ما شهدت به الأعداء، ومعلوم أن اليهود والنصارى يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم)[٣١].

---

(٢٨) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، شرف الدين حسن بن محمد بن عبدالله الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، وغيره، (ط/١، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان: ١٤١٣هـ) ١/٣٠٥.

(٢٩) أخرجه البخاري ١٣٥٦.

(٣٠) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب ٣/٢٦٢.

(٣١) شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ضبط وتخريج وتعليق: د. محمد حسن. محمود حسن محمود، (ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ٢/١١٧٤.

٤- طاعة الرسول ﷺ تعصم من الانحراف والضلال

ومن فضائل طاعة النبي ﷺ أنها تعصم صاحبها من الانحراف والضلال والزيغ، وتجعله على الهدى والصواب والإيمان إذا ما اختلطت الأمور، وتتابعت البدع والشبهات فيظل صاحب طاعة النبي ﷺ موفقًا مسددًا محفوظًا من الزيغ والريبة.

ومما يدل من السنة على ذلك ما جاء عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ. فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[٣٢].

فهذا الحديث دلَّ على أن التمسك بالسنة وطاعة النبي ﷺ عصمة من الانحراف والضلال عند اختلاط الأمور وظهور الفتن.

قال المباركفوري رحمه الله: (والمراد أنه من أدرك زمن الاختلاف الكثير فعليه بسنتي أي فليلزم سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها. والسنة هي الطريقة فكأنه قال: الزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين، وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته فإنهم أشد الناس حرصًا عليها وعملاً بها في كل شيء وعلى كل حال كانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها. والعض كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها فإن من أراد أن يأخذ شيئًا أخذًا شديدًا يأخذ بأسنانه)[٣٣].

وقال الخطابي رحمه الله: (وإنما أراد ﷺ بذلك الحث في لزوم السنة، فعل من أمسك الشيء بين أضراسه، وعضَّ عليه منعًا له أن ينتزع، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء، إذ كان ما يمسكه بمقاديم فمه أقرب تناولاً وأسهل انتزاعًا، وقد يكون معناه أيضًا: الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله، كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه)[٣٤].

---

(٣٢) أخرجه أبو داود برقم ٤٦٠٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٨٥١، وأخرجه ابن ماجه برقم ٤٢، والترمذي برقم ٢٦٧٦.

(٣٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، (ط/٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ١٤٠٦هـ) ٢/٢٠٣٥.

(٣٤) معالم السنن، أبو سليمان الخطابي، تحقيق: محمد حامد الفقي ٧/١٢.

ومن الأحاديث النبوية التي تبين أن من يطيع الرسول ﷺ يعصم من الضلال ما أخرجه مالك في الموطأ قال النبي ﷺ : ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ))[٣٥]، فوعد النبي ﷺ بعدم الضلال لمن تمسك بالكتاب والسنة.

قال ابن القيم رحمه الله : (فرأس الأدب مع الرسول ﷺ كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكًا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحّده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحّد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل)[٣٦].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله : (ومن هنا يتبين لنا سبب ضلال علماء الكلام قديمًا وحديثًا ومخالفتهم للسلف رضي الله عنهم في عقائدهم، فضلاً عن أحكامهم وهو بعدهم عن السنة والمعرفة بها وتحكيمهم عقولهم وأهواءهم في آيات الصفات وغيرها. وجملة القول : أن الواجب على المسلمين جميعًا أن لا يفرقوا بين القرآن والسنة من حيث وجوب الأخذ بهما كليهما وإقامة التشريع عليهما معًا فإن هذا هو الضمان لهم أن لا يميلوا يمينًا ويسارًا، وأن لا يرجعوا القهقري ضلالاً كما أفصح عن هذا رسول الله ﷺ بقوله : ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إن تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض))[٣٧][٣٨]

المبحث الثاني: تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم لطاعة الرسول ﷺ في السنة النبوية

وإذا تقرر فضل طاعة رسول الله ﷺ فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين أشد الحرص على المحافظة على هذه الطاعة، وعدم الخروج عنها، ولعل من أبرز المواقف التي تبين تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم لطاعة الرسول ﷺ ما يلي :

١- موقف الحلق في صلح الحديبية

حيث طلب النبي ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم أن يحلقوا في صلح الحديبية فلما لم يفعلوا اغتمّ لذلك فأشارت عليه أم سلمة رضي الله عنها أن يحلق أمامهم فلما فعل ذلك أطاعوا النبي ﷺ وجعل بعضهم يحلق لبعض، ولقد جاءت

---

(٣٥) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: العلم، باب: خطته ﷺ في حجة الوداع، رقم ٣٢٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٧٦١.

(٣٦) مدارج السالكين بين منازل إياك وإياك نستعين، شمس الدين ابن القيم،تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل (ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ٢/٣٨٧.

(٣٧) الحديث سبق تخريجه ص ١٥.

(٣٨) منزلة السنة في الإسلام، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، (ط/٤، الدار السلفية: ١٤١٤هـ/١٩٨٤م) ص ١٧ - ١٨.

هذه الواقعة في صحيح البخاري في حديث طويل من كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد وفيه: ((... فلما فَرَغَ من قضيةِ الكتاب قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ: قوموا فانحرُوا ثمَّ احْلِقوا. قال: فوَاللهِ ما قامَ منهم رجُلٌ، حتى قال ذٰلكَ ثلاثَ مَرّاتٍ، فلمّا لم يَقُمْ منهم أحدٌ دَخلَ على أُمِّ سَلمةَ فذَكرَ لها ما لقيَ منَ الناسِ، فقالت أُمُّ سَلمةَ: يا نبيَّ اللهِ أتُحِبُّ ذٰلك؟ اخرُجْ، ثمَّ لا تُكلِّمْ أحدًا منهم كلمةً حتى تَنْحَرَ بُدْنَك، وتَدْعو حالِقَكَ فيَحْلِقَكَ. فخرَجَ فلم يُكلِّمْ أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحرَ بُدْنَهُ، ودَعا حالِقَهُ فحلَقَه. فلما رأوا ذٰلكَ قاموا فَنَحروا، وجَعلَ بعضُهم يَحلِقُ بعضًا، حتى كادَ بعضُهم يَقتُلُ بعضًا غَمًّا...))[٣٩].

ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله على هذه القصة فيقول: (ومن الفوائد في قصة صلح الحديبية أن الأصل مشاركة أمته له في الأحكام إلا ما خصه الدليل ولذلك قالت أم سلمة: "اخرج ولا تكلم أحدًا حتى تحلق رأسك وتنحر هديك" وعلمت أن الناس سيتابعونه.

فإن قيل: فكيف فعلوا ذلك اقتداء بفعله ولم يمتثلوا حين أمرهم به؟ قيل: هذا هو السبب الذي لأجله ظن من ظن أنهم أخروا الامتثال طمعًا في النسخ فلما فعل النبي ﷺ ذلك علموا حينئذٍ أنه حكم مستقر غير منسوخ فلما خرج ولم يكلمهم وأراهم أنه بادر إلى امتثال ما أمر به وأنه لم يؤخر كتأخيرهم وأن اتباعهم له وطاعتهم توجب اقتداءهم بادروا حينئذ إلى الاقتداء به وامتثال أمره)[٤٠].

وقال ابن حجر رحمه الله: (وتوقف الصحابة رضي الله عنهم في بداية الأمر لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو رجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، ولعل أم سلمة فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة في حقهم وأنه هو يستمر على الإحرام أخذًا بالعزيمة في حق نفسه فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر)[٤١].

إن هذا الحدث يدلل على مدى طاعة الصحابة رضي الله عنهم للرسول ﷺ، ومدى حرصهم على عدم مخالفة أمره، والاقتداء بفعله وهديه ودله ﷺ.

٢- موقف تحويل القبلة

ومن أبرز الأمثلة على تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم لطاعة النبي ﷺ ما كان منهم في تحويل القبلة حيث كانوا في أول الهجرة يصلون على بيت المقدس بأمر الله عز وجل ثم إن الله تعالى أمرهم بالتوجه إلى الكعبة

---

(٣٩) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٤٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، (ط/٢، المكتبة التوفيقية: ١٩٨٠م) ٣٠٧/٢ - ٣٠٨.

(٤١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٤٠٩/٥.

المشرفة، قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٤٢]، فحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وكان ناس من الصحابة ﷺ يصلون العصر إلى بيت المقدس لأنهم ما علموا بتحويل القبلة فجاءهم رجل من الصحابة وهم في الصلاة وقال لهم: إنها حولت القبلة إلى الكعبة فما كان منهم إلا أن استداروا وهم في الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة دون اعتراض ودون سؤال وهذا هو الإيمان الامتثال بدون اعتراض أما الذين في قلوبهم مرض ونفاق فلا يبادرون إلى الامتثال بل يكثرون السؤال والاعتراض وأهل الإيمان يمتثلون ولا يعترضون)[٤٣].

ولقد جاء في السنة ما يدلل على هذا الموقف، فعن عبدالله بن عمر { قال: ((بينا الناسُ بقُباءٍ في صلاةِ الصبحِ إذ جاءَهُم آتٍ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قد أُنزلَ عليهِ الليلةَ قُرآنٌ، وقد أُمِرَ أن يَستقبلَ الكعبةَ، فاستقبلوها. وكانت وُجوهُهمْ إلى الشَّامِ فاستَداروا إلى الكعبةِ))، وفي رواية: ((...فاستَدارُوا كهيئتِهم فتوجهوا إلى الكعبة، وكان وجهُ الناسِ إلى الشام))[٤٤].

٣- موقف صلاة العصر في بني قريظة

ومن تطبيقات الصحابة ﷺ لطاعة النبي ﷺ ما كان منهم بعد غزوة الأحزاب عندما طلب منهم النبي ﷺ أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة فامتثلوا أمره، وأطاعوا قوله حتى إنهم اختلفوا في كيفية امتثال أمره وذلك عندما أدركتهم صلاة العصر في الطريق فمنهم أخر صلاة العصر إلى حين وصوله إلى بني قريظة ولو كان ذلك بعد غروب الشمس طاعة لقول رسول الله ﷺ، ومنهم من فهم أن المراد بذلك الإسراع في الذهاب إلى بني قريظة.

فعن عبدالله بن عمر { قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: ((لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلاّ في بني قُرَيظةَ. فأدركَ بعضَهمُ العصرُ في الطريقِ، فقال بعضُهم: لا نُصلّي حتى نأتِيَها، وقال بعضُهم: بل نُصلّي، لم يُرَدْ منا ذلكَ. فذُكِرَ للنبيِّ ﷺ فلم يُعَنِّفْ واحدًا منهم))[٤٥].

قال النووي رحمه الله: (وأما اختلاف الصحابة ﷺ في المبادرة بالصلاة عند ضيق وقتها وتأخيرها فسببه أن أدلة الشرع تعارضت عندهم بأن الصلاة مأمور بها في الوقت مع أن المفهوم من قول النبي ﷺ "لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة" المبادرة بالذهاب إليهم وأن لا يشتغل عنه بشيء لا أن تأخير الصلاة مقصود في نفسه من حيث إنه تأخير فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم نظرًا إلى المعنى لا إلى اللفظ فصلوا حين خافوا فوت

---

(٤٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٤٣) مكانة السنة في الإسلام، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان ص ٢٠.

(٤٤) أخرجه البخاري ٤٠٣، ٤٤٩٣، ومسلم رقم ٥٢٦.

(٤٥) أخرجه البخاري ٩٤٦، ٤١١٩، ومسلم ١٧٧٠ بلفظ الظهر.

الوقت، وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخروها ولم يعنف النبي ﷺ واحدًا من الفريقين لأنهم مجتهدون ففيه دلالة لمن يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة العنى ولمن يقول بالظاهر أيضًا، وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد، ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ إذا بذل وسعه في الاجتهاد)[٤٦].

وقال ابن حجر رحمه الله: (قال ابن المنير: والأبين عندي أن وجه الاستدلال من جهة أن الاستعجال المأمور به يقتضي ترك الصلاة أصلاً كما جرى لعبضهم، أو الصلاة على الدواب كما وقع للآخرين، لأن النزول ينافي مقصود الجد في الوصول، فالأولون بنوا على أن النزول معصية لمعارضته للأمر الخاص بالإسراع، وكأن تأخيرهم لها لوجود المعارض، والآخرون جمعوا بين دليلي وجوب الإسراع ووجوب الصلاة في وقتها فصلوا ركبانًا، فلو فرضنا أنهم نزلوا لكان ذلك مضادًا للأمر بالإسراع، وهو لا يظن بهم لما فيه من المخالفة)[٤٧].

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (وإنما وقع التنازع بين الصحابة ﷺ في صلاة العصر في الطريق التفاتًا إلى لفظ النبي ﷺ وإلى معنى كلامه ومراده ومقصوده: فمنهم من تمسك بظاهر اللفظ ورأى أنه لا ينبغي أن يصلي العصر إلا في بني قريظة وإن فات وقتها، وتكون هذه الصلاة مخصوصة من عموم أحاديث المواقيت بخصوص هذا النص، وهو النهي عن الصلاة إلا في بني قريظة.

ومنهم من نظر إلى المعنى وقال: لم يرد النبي ﷺ ذلك، وإنما أراد منا تعجيل الذهاب إلى بني قريظة في بقية النهار، ولم يرد تأخير الصلاة عن وقتها ولا غيّر وقت صلاة العصر في هذا اليوم بل هو باق على ما كان عليه في سائر الأيام وهذا هو الأظهر والله أعلم)[٤٨].

إن هذا الاختلاف الذي وقع من الصحابة إنما يدلل على مدى طاعتهم للنبي ﷺ وحرصهم على عدم مخالفة أمره، وتطبيق قوله دون ثمة مخالفة، قال ابن القيم رحمه الله: (واختلف الفقهاء أيهما كان أصوب؟ فقالت طائفة: الذين أخروها هم المصيبون ولو كنا معهم لأخرناها كما أخروها، ولما صلينا إلا في بني قريظة امتثالاً لأمره، وتركًا للتأويل المخالف للظاهر.

وقالت طائفة أخرى: بل الذين صلّوها في الطريق في وقتها حازوا قصب السبق وكانوا أسعد بالفضيلتين فإنهم بادروا إلى امتثال أمره في الخروج، وبادروا إلى مرضاته في الصلاة في وقتها، ثم بادروا إلى اللحاق بالقوم فحازوا فضيلة الجهاد، وفضيلة الصلاة في وقتها، وفهموا ما يراد منهم، وكانوا أفقه من الآخرين ولا سيما تلك الصلاة فإنها كانت صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذي لا مدفع له

---

(٤٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٣٩.

(٤٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٥٠٧.

(٤٨) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله ٦/٦٢.

ولا مطعن فيه، ومجئ السنة بالمحافظة عليها والمبادرة إليها والتبكير بها فالذي جاء فيها أمر لم يجئ مثله في غيرها. وأما المؤخرون لها فغايتهم أنهم معذورون بل مأجورون أجرًا واحدًا لتمسكهم بظاهر النص، وقصدهم امتثال الأمر، وأما أن يكونوا هم المصيبين في نفس الأمر، ومن بادر إلى الصلاة وإلى الجهاد مخطئًا فحاشا وكلا، والذين صلوا في الطريق جمعوا بين الأدلة، وحصَّلوا الفضيلتين فلهم أجران، والآخرون مأجورون أيضًا ﷺ)[٤٩].

٤- موقف بريرة ﷺ من حب مغيث

ومن النماذج التي جاءت في السنة النبوية تبين تطبيقات الصحابة ﷺ لطاعة النبي ﷺ ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس { أن زوج بريرة كان عبدًا يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس: ((يا عباسُ ألا تعجبُ من حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، ومن بُغضِ بريرةَ مُغيثًا. فقال النبيُّ ﷺ: لو راجعتِهِ. قالت: يا رسولَ الله تأمُرُني؟ قال: إنما أنا أشْفَع، قالت: لا حَاجَةَ لي فيه))[٥٠].

فهكذا يتضح مدى حرصها على طاعة النبي ﷺ إذ إنها لما طلب منها النبي ﷺ مراجعة مغيث سألته يا رسول الله تأمرني؟ وكأنها تقول لو أن هذا أمرًا منك فما يكون لي أن أخالفك وإن كان ذلك على غير رغبتي فلما بين لها النبي ﷺ أنه لا يأمرها وإنما يشفع قالت: لا حاجة لي فيه وهذا لا شك يدلل على كمال طاعتها، وعظم انقيادها لكلام النبي ﷺ.

قال ابن حجر رحمه الله: (وفي قوله: "لو راجعته" زاد ابن ماجه "فإنه أبو ولدك" وظاهره أنه كان له منها ولد وقولها "تأمرني" زاد الإسماعيلي قال: "لا" وفيه إشعار بأن الأمر لا ينحصر في صيغة افعل لأنه خاطبها بقوله: "لو راجعته فقالت: أتأمرني" أي تريد بهذا القول الأمر فيجب علي. قال: "إنما أشفع" أي أقول ذلك على سبيل الشفاعة له لا على سبيل الحتم عليك قالت: "فلا حاجة لي فيه" أي فإذا لم تلزمني بذلك لا أختار العود إليه)[٥١].

وقال د. عمر سليمان الأشقر: (وإذا كانت بريرة قد سعدت بالحرية بعد أن زال عنها رق العبودية فإن زوجها وكان عبدًا أسود يدعى مغيثًا شقى بنيلها حريتها ودعا الرسول ﷺ بريرة وأعلمها بالحكم الشرعي، وأنها تملك مفارقة الزوج ما لم يعاشرها بعد تحريرها فإن عاشرها ملك عليها أمرها فاختارت فراقه علم مغيث بالأمر فوقع عليه وقوع الصاعقة فرجاها أن ترجع عن قرارها فأبت فاستشفع برسول الله ﷺ فدعاها، وقال لها: يا بريرة اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك قالت له: تأمرني بذلك، فإن كان أمرًا فليس من طاعة رسول الله بد، فقال لها رسول

---

(٤٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ١٣١/٣.

(٥٠) أخرجه البخاري رقم ٥٢٨٣.

(٥١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٢٠/٩.

الله ﷺ : لا إنما أنا شافع فالرسول ﷺ لا يستطيع إلزامها بما جعل الله له فيها فسحة وإنما هو شافع وإذا لم تقبل شفاعة الرسول ﷺ فمن باب أولى ألا تقبل شفاعة غيره)[٥٢].

ولو لم تكن بريرة تدرك مدى أهمية طاعة الرسول ﷺ ما سألته أهذا أمر لها أم لا ولكنها لحرصها على الطاعة سألته ﷺ .

٥- موقف عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مع ابنه

ومن تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم لطاعة النبي ﷺ ما كان من عبدالله بن عمر { مع ابنه ففي الصحيحين عن سالم بن عبدالله أن عبدالله بن عمر { قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا)). قَالَ فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ[٥٣].

قال النووي رحمه الله: (وقوله" فأقبل عليه عبدالله فسبه سبًا سيئًا" وفي رواية: "فزبره" أي نهره وفي رواية: "فضرب في صدره" فيه تعزير المعترض على السنة والمعارض لها برأيه)[٥٤].

وقال ابن حجر رحمه الله: وإنما أنكر عليه ابن عمر { لتصريحه بمخالفة الحديث وإلا فلو قال مثلاً: إن الزمان قد تغير، وإن بعضهن ربما ظهر منها قصد المسجد وإضمار غيره لكان يظهر أن لا ينكر عليه، وأخذ من إنكار عبدالله على ولده تأديب المعترض على السنن برأيه، وعلى العالم بهواه، وتأديب الرجل ولده وإن كان كبيرًا إذا تكلم بما لا ينبغي له، وجواز التأديب بالهجران)[٥٥].

٦- موقف عبدالله بن مغفّل رضي الله عنه مع قريبه

ومن المواقف التطبيقية التي تدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على طاعة الرسول ﷺ ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد عبدالله بن مغفّل رضي الله عنه قال: ((نهى النبيُّ ﷺ عن الخَذفِ وقال: إنه لا يقتلُ الصيدَ ولا يَنكأ العدُوَّ، وإنه يَفقأُ العينَ ويَكسِرُ السنَّ))، وفي رواية: ((أَنَّ قَرِيبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ. فَنَهَاهُ، وَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنِ الْخَذْفِ. وَقَالَ: إِنَّهَا لاَ تَصِيدُ صَيْدًا وَلاَ تَنْكَأُ عَدُوًّا. وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ. قَالَ: فَعَادَ. فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنْهُ ثُمَّ عُدْتَ لاَ أُكَلِّمُكَ أَبَدًا))[٥٦].

---

(٥٢) قصص الرسول ﷺ وأصحابه في صحيح الحديث النبوي، د. عمر سليمان الأشقر، (ط/١، دار النفائس، الأردن: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م) ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٥٣) أخرجه البخاري ٨٧٣، ومسلم ٤٤٢.

(٥٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٧٠.

(٥٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٤٠٥ - ٤٠٦.

(٥٦) أخرجه البخاري ٥٤٧٨، ومسلم ١٩٥٤.

قال النووي رحمه الله: (وفي هذا الحديث هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائمًا، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائمًا وهذا الحديث مما يؤيده)[٥٧].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: (وما كان من عبدالله بن مغفل ﷺ مع قريبه من هجرانه وعدم كلامه لأنه خالف نهي النبي ﷺ وهذا يدل على عظم تعظيم السلف الصالح لاتباع السنة، وهذا يشبه ما حدث من عبدالله بن عمر مع أحد أبنائه من الهجر وعدم الكلام حتى مات لمجرد مخالفة سنة الرسول ﷺ، وهذا يعطي معنى أنه لا ينبغي للإنسان أن يعارض قول الرسول ﷺ، وإنما يجب أن يقول لحكم الله ورسوله: سمعنا وأطعنا)[٥٨].

إن هذا الصحابي أرشد قريبه إلى ترك الخذف وذكّره بحديث النبي ﷺ ولكنه عاد وفعل ولم يستجب ولم يطع فما كان منه إلا أنه وبخه على ترك السنة وامتنع عن مكالمته ودام على هجره وهذا يبين لنا بجلاء حرص الصحابة ﷺ على طاعة النبي ﷺ.

قال ابن علان رحمه الله: (وعبدالله بن المغفل من أهل بيعة الرضوان قال عبدالله: إني لممن رفع أغصان الشجرة عن رسول الله ﷺ وكان أحد البكائين. وفي هذا الحديث نهى قريبه عن الخذفة فهي لا يحصل منها مصلحة في الصيد كما لا يحصل منها مصلحة في الحرب فلما عاد قريبه للخذف بعد سماع ذلك قال له: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف وتخالف السنة لا أكلمك أبدًا وفي هذا هجران أهل البدع ومنابذي ومخالفي السنة مع العلم)[٥٩].

٧- موقف عمر بن الخطاب ﷺ وتقبيل الحجر

ومن المواقف المشتهرة في تطبيق الصحابة ﷺ لطاعة النبي ﷺ واتباعهم له في كل شيء، بل والمسارعة إلى الاستجابة لأمره، والطاعة لقوله ما كان من عمر بن الخطاب ﷺ عندما قبّل الحجر وأرشد إلى أنه يفعل ذلك اتباعًا للنبي ﷺ حتى وإن لم يعلم الحكمة التي من أجلها يقبل الحجر، ولكن يكفيه أن رسول الله ﷺ فعل ذلك فهو يفعل كفعله ﷺ.

ففي الصحيحين عن عابس بن ربيعة قال: ((رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَجَرَ «يعني الأسود وَيَقُولُ: إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ))[٦٠].

---

(٥٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٤٢.

(٥٨) شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٤٣٨.

(٥٩) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي الشافعي، (ط/ دار الحديث، القاهرة) ص ٣١٦.

(٦٠) أخرجه البخاري ١٥٩٧، ومسلم ١٢٧٠.

قال النووي رحمه الله: (وفي قول عمر ﷺ: "لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع" فأراد به الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله، ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله وإنما قال: وإنك لا تضر ولا تنفع لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار وتعظيم ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريبًا بذلك فخاف عمر ﷺ أن يراه بعضهم يقبله ويعتني به فيشتبه عليه فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع بالجزاء والثواب ولقد جاء في رواية سويد بن غفلة قال: رأيت عمر ﷺ قبَّل الحجر والتزمه وقال رأيت رسول الله ﷺ بك حفيًا)[٦١].

وقال ابن علان رحمه الله: (وفي قول عمر ﷺ هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيه وهي قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم نعلم الحكمة فيه، وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر خاصية ترجع إلى ذاته وفيه بيان السنن بالقول والفعل)[٦٢].

جاء في بهجة الناظرين: "ومن فقه هذا الحديث وجوب متابعة النبي ﷺ فيما شرعه لأمته ولو لم يظهر لهم وجه الحكمة منه، وفيه أن العبادات توفيقية يجب اتباعها وأن تقبيل الحجر الأسود سنة نبوية وفيه بيان شدة حرص الصحابة ﷺ على توحيد متابعة الرسول ﷺ هذا بالإضافة إلى صفاء توحيدهم لربهم حيث ردوا النفع والضر إلى الله وحده فكل ما سوى الله تعالى لا يملك ضرًا ولا نفعًا وإن كان معظمًا"[٦٣].

وقال القاضي عياض رحمه الله: (وقول عمر ﷺ فيه الاقتداء وترك الاعتراض على السنن بالعقول وأن تقبيله الحجر ليس عبادة له بل لله تعالى، بامتثال أمره فيه، كأمره بسجود الملائكة لآدم، وشرع مع ذلك التكبير للناس إظهارًا أن ذلك الفعل تذللاً له لا لغيره، وأن التحسين والتقبيح إنما هو من قبل الشرع لا من قبل العقل، وأن كل ما جاء به الشرع فهو الحسن المحمود، وسر ذلك محض العبودية، وأن العبادات على ضربين: منها ما فهم معناه وعلتها ومصلحتها، ومنها ما وضع لمجرد التعبد وامتثال الأمر واطراح استعمال العقل)[٦٤].

إن الدافع الرئيس لعمر ﷺ في تقبيل الحجر هو أن رسول الله ﷺ فعل ذلك، ومن ثم فهو يفعله، ولقد سار على دربه في طاعة النبي ﷺ ابنه عبدالله ﷺ فلقد قال: "ما تركت استلام هذين الركنين اليماني والحجر

---

(٦١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٠٢.

(٦٢) دليل الفالحين، ابن علان، تحقيق: صالح بن عثمان اللحام ص ٣١٧.

(٦٣) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، (ط/١، دار ابن الجوزي، السعودية: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ١/٢٤٩.

(٦٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، (ط/٣، دار الوفاء، المنصورة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ٤/٣٤٥.

الأسود مذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما في شدة ولا رخاء"[٦٥]، وفي رواية عن نافع قال: "رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله"[٦٦].

٨- موقف صاحب الخاتم رضي الله عنه

ومن المواقف التي جاءت في السنة النبوية وتدلل على طاعة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ حديث الرجل الذي كان في يده خاتم ذهب فنهاه النبي ﷺ عن ذلك وطرح خاتمه على الأرض فامتثل الرجل وأطاع بل ورفض أن يأخذ الخاتم الذي طرحه رسول الله ﷺ وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على مدى الحرص على طاعة رسول الله ﷺ، وهذا الموقف رواه الإمام مسلم في صحيحه، فعن عبدالله بن عباس { أن رسول الله ﷺ رآي خاتمًا من ذهب في يدر رجل فنزعه فطرحه وقال: ((يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ» فَقِيلَ لِلرَّجُلِ، بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ لاَ آخُذُهُ أَبَدًا. وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ))[٦٧].

قال النووي رحمه الله: (وأما قول صاحب هذا الخاتم حين قالوا له: خذه: لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ ففيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة)[٦٨].

بل إن السنة النبوية جاء فيها ما يدل على أن مسألة الطاعة والامتثال لم تكن من صاحب هذا الخاتم فحسب وإنما كانت ديدن الصحابة رضي الله عنهم دائمًا، ففي الصحيحين عن عبدالله بن عمر { أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب فكان يجعل فصه في باطن كفه إذا لبسه فصنع الناس ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال: ((إني كنتُ ألبَسُ هذا الخاتمَ وأجعَلُ فصَّهُ من داخل، فرمى به ثم قال: واللَّهِ لا ألبَسُه أبدًا؛ فنَبذَ الناسُ خَواتيمهم))[٦٩].

قال النووي رحمه الله: (في قوله ﷺ: "والله لا ألبسه أبدًا فنبذ الناس خواتيمهم" فيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ والاقتداء بأفعاله)[٧٠].

قال ابن حجر رحمه الله: (وفي حديث الباب مبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الاقتداء بأفعاله ﷺ فما أقر عليه استمروا عليه، وما أنكره امتنعوا منه)[٧١].

---

(٦٥) أخرجه البخاري ١٦٠٦، ومسلم ١٢٦٨.

(٦٦) أخرجه مسلم في إحدى روايات حديث ١٢٦٨.

(٦٧) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٦٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٢.

(٦٩) أخرجه البخاري ٥٨٦٥، ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٧٠) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٣.

(٧١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٤٤/١٠.

ولدلالة هذا الحديث السابق على طاعة الصحابة ﷺ للنبي ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ وعلّق على ذلك ابن حجر رحمه الله فقال: (وقول البخاري في باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ فالأصل في ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٧٢]، وقد ذهب جمع إلى وجوبه لدخوله في عموم الأمر بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٧٣]، فيجب اتباعه ﷺ في فعله كما يجب في قوله حتى يقوم دليل على الندب أو الخصوصية.

واقتصر البخاري على هذا الحديث في هذا الباب لاشتماله على تأسيهم به في الفعل والترك قال ابن بطال: وفي حديث الباب دليل لمن قال بوجوب اتباعه ﷺ في أفعاله لأنه خلع خاتمه فخلعوا خواتمهم، ونزع نعله في الصلاة فنزعوا، ولما أمرهم عام الحديبية بالتحلل وتأخروا عن المبادرة رجاء أن يأذن لهم في القتال وأن ينصروا فيكملوا عمرتهم قالت له أم سلمة ﷺ: اخرج إليهم واحلق واذبح ففعل فتابعوه مسرعين فدلّ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول، ولما نهاهم عن الوصال قالوا: إنك تواصل، فقال: إني أطعم وأسقى فلولا أن لهم الاقتداء به لقال: وما في مواصلتي ما يبيح لكم الوصال لكنه عدل عن ذلك وبيّن لهم وجه اختصاصه بالمواصلة. أ. هـ. قال ابن حجر: وجميع ما ذكر ابن بطال يدل على مطلق التأسي به ﷺ)[٧٤].

وإذا كان صاحب خاتم الذهب بادر وأسرع إلى طاعة النبي ﷺ وجميع الصحابة بادروا وأسرعوا إلى نبذ خواتمهم لما نزع النبي ﷺ خاتمه فقد جاء في السنة أيضًا بيان جزاء من يتأخر عن طاعة النبي ﷺ ويعرض عن قوله وفعله.

فعن إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدَّثه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: ((«كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ))[٧٥].

ومن فقه هذا الحديث: "أن مشاقة الرسول ﷺ توجب الإثم ولذلك دعا عليه الرسول ﷺ لأن امتناعه كان تكبرًا وعنادًا وفيه إكرام الله نبيه وعبده محمد ﷺ بإجابة دعوته"[٧٦].

إن هذا الرجل تكبر على طاعة النبي ﷺ والاستجابة لقوله فكانت النتيجة أن شُلّت يده، "إن في طاعة النبي ﷺ نجاة، وفي عصيانه هلاك يصل لمن يبلغه أمر الرسول ﷺ فيتغافل عنه، أو ينكره عنادًا وجحودًا فهذا رجل يقول له الرسول ﷺ: (كل بيمينك) فيتماكر ويقول: لا أستطيع. فلا تنفيذ للأمر، ولا إحسان في الاعتذار فدعا عليه

---

(٧٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٧٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٧٤) المرجع السابق ٢٨٨/١٣ - ٢٨٩.

(٧٥) أخرجه مسلم ٢٠٢١.

(٧٦) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٤٠/١.

الرسول ﷺ أن يصدق قوله وتتحقق دعواه فشلّت يده وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٧٧]، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة للرسول ﷺ وتحذير من مخالفته وأن الخير في الاتباع والشر في الابتداع"[٧٨].

قال الشيخ صالح الفوازان رحمه الله: (وقد جاء الوعيد الشديد لمن يخالف أمر الرسول ﷺ بأحد أمرين: الأمر الأول: أن تصيبه فتنة في قلبه فيزيغ عن الحق ويكفر بعد الإيمان، ويفسد قلبه بزيغ وضلال فلا يهتدي للحق بعد ذلك، لأنه خالف أمر الرسول ﷺ وهذه عقوبة أشد من التي بعدها.

الأمر الثاني: عذاب أليم وهو إما أن يكون في الدنيا بالقتل والأمراض والهلاك ولا مناص لمن خالف أمر الرسول ﷺ من العقوبتين: عقوبة في القلب - والعياذ بالله - وعقوبة في البدن أو في المال وخير مثال وشاهد على ذلك حديث الرجل الذي كان يأكل بيده اليسرى فأمر النبي ﷺ أن يأكل بيمينه فقال الرجل: لا أستطيع وهو كاذب في ذلك إذ كان يستطيع لكن منعه الكبر من امتثال السنة فدعا عليه النبي ﷺ وقال: لا استطعت، فعند ذلك يبست يده ولم يستطع رفعها إلى فيه بعد ذلك فهذه عقوبة عاجلة ودليل على أن من خالف سنة الرسول ﷺ تكبرًا أنه معرض للعقوبة)[٧٩].

٩- موقف عبدالله بن رواحة رضي الله عنه

ومن الصور والنماذج التطبيقية لطاعة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ موقف عبدالله بن رواحة رضي الله عنه عندما كان خارج المسجد وسمع النبي ﷺ يخطب ويقول: اجلس فجلس مكانه فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر يوم الجمعة فقال: ((اجْلِسُوا. فجلس في بني غَنْم، قيل: يا رسول الله ذاك ابن رواحة جالس في بني غَنْم، سمعك وأنت تقول للناس: «اجْلِسُوا» فجلس في مكانه)).

وروي مرسلاً عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ أَتَى النَّبِيَّ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ: اجْلِسُوا، فَجَلَسَ مَكَانَهُ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ، حَتَّى فَرَغَ النَّبِيُّ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ فَقَالَ لَهُ: زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا عَلَى طَوَاعِيَةِ اللَّهِ وَطَوَاعِيَةِ رَسُولِهِ))[٨٠].

---

(٧٧) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٧٨) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٧٩) مكانة السنة في الإسلام، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان ص ١٧ - ١٨.

(٨٠) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة بسند صحيح، لكنه مرسل، والمرسل أصح إسنادًا. انظر: دلائل النبوية، البيهقي، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي ٦/٢٥٦ - ٢٥٧، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٦/٧٨، وقال: أخرجه البيهقي بسند صحيح من طريق ثابت عن ابن أبي ليلى، وأخرجه من وجه آخر إلى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة والمرسل أصح إسنادًا.

إن هذا الموقف من عبدالله بن رواحة ﷺ ليدل على كمال التأسي والطاعة والانقياد للنبي ﷺ حتى أنه لمجرد سماع أمره بالجلوس يجلس في مكانه في خارج المسجد، ولقد كان من مكافأته على هذه الطاعة أن فاز بدعوة النبي ﷺ له: زادك الله حرصًا على طواعية الله ورسوله.

فكان ﷺ دائم الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ فعن أبي الدرداء ﷺ قال: ((لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ. حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ. وَمَا مِنَّا أَحَدٌ صَائِمٌ، إِلاَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ))[٨١].

وهذا أيضًا من كمال تأسيه واتباعه للنبي ﷺ فهو يصوم كما أن النبي ﷺ صائم حتى وإن كان الحر شديدًا حتى وإن كان في سفر فكمال اتباعه وطواعيته للنبي ﷺ تجعله لا يلتفت إلى شيء من ذلك.

عن أبي ليلى قال: (تزوج رجل امرأة عبدالله بن رواحة فقال لها: تدرين لم تزوجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبدالله في بيته فذكرت له شيئًا لا أحفظه غير أنها قالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا دخل صلى ركعتين لا يدع ذلك أبدًا)[٨٢].

١٠- موقف الصحابة ﷺ من كراء الأرض

لقد بلغ من حرص الصحابة ﷺ على طاعة الرسول ﷺ أنهم كانوا يطيعونه ولو كان ذلك على خلاف رغبتهم وهواهم ذلك لأنهم يعلمون تمام العلم ويوقنون تمام اليقين أن الرسول ﷺ يريد الخير لهم.

ولا أدل على ذلك من موقفهم من كراء الأرض حيث كانوا ينتفعون من ذلك ثم نهاهم رسول الله ﷺ عن كرائها فاستجابوا وأطاعوا، فعن رافع بن خديج ﷺ قال: ((كُنَّا نُحَاقِلُ الأَرْضَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَنُكْرِيهَا بِالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّى. فَجَاءَنَا ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ مِنْ عُمُومَتِي. فَقَالَ: نَهَانَا رَسُولُ اللّهِ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا. وَطَوَاعِيَةُ اللّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا. نَهَانَا أَنْ نُحَاقِلَ بِالأَرْضِ فَنُكْرِيَهَا عَلَى الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّى. وَأَمَرَ رَبَّ الأَرْضِ أَنْ يَزْرَعَهَا أَوْ يُزْرِعَهَا. وَكَرِهَ كِرَاءَهَا، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ))[٨٣].

وهكذا كان حرص الصحابة ﷺ على طاعة النبي ﷺ ويظهر هذا في قوله: "نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان نافعًا وطواعية الله ورسوله أنفع لنا" وحقًا فإن الفلاح والفوز والنفع دائمًا في طاعة الله وفي طاعة رسول الله ﷺ.

---

(٨١) أخرجه البخاري ١٩٤٥، ومسلم ١١٢٢.

(٨٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ١/٢٣٣، وقال محققه: رجاله ثقات ونسبه الحافظ، في الإصابة ٦/٧٨ - ٧٩ إلى ابن المبارك في الزهد، وصحح سنده.

(٨٣) أخرجه مسلم ١٥٤٨.

١١- موقف فاطمة بنت قيس رضي الله عنها

وذلك عندما أعلمت النبي ﷺ بمن جاء يخطبها فأشار عليها رسول الله ﷺ بأسامة بن زيد رضي الله عنه أن تتزوجه فكان في طاعتها لرسول الله ﷺ نعمة وفرح وخير فعنها رضي الله عنها قالت: ((إِنَّ زَوْجَهَا طَلَّقَهَا ثَلاَثًا، فَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ سُكْنَىٰ وَلاَ نَفَقَةً، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ «إِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي» فَآذَنْتُهُ، فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو جَهْمٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لاَ مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ» فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا: أُسَامَةُ! أُسَامَةُ! فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ «طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكِ» قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ.

وفي رواية: ((انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ. ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ» فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ))[٨٤].

فهذا الموقف يدل على كمال طاعتها فرغم أنها نكحت أسامة وهي تكرهه إلا أنها بطاعتها لرسول الله ﷺ جعل الله في زواجها من أسامة خيرًا حتى أنها قالت فاغتبطت: أي فرحت بالنعمة.

إن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها لم تحكم هواها ولا رغبتها ولا ميولها إنما استجابت لكلام النبي ﷺ تحقيقًا لطاعته خاصة وأن النبي ﷺ قال لها: "طاعة الله وطاعة رسوله خير لك" وبالفعل كانت هذه الطاعة خيرًا وهي قد صرحت بنعمة الله عليها وفرحها بذلك.

١٢- موقف الصحابة رضي الله عنهم من تحريم لحوم الحمر

ومن المواقف التي تدلل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على طاعة النبي ﷺ ما جاء في السنة النبوية كيف كان موقفهم عندما سمعوا بتحريم لحوم الحمر ما كان منهم إلا الاستجابة الفورية، والانقياد الكامل لأمره بدون مماطلة أو تأخير.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه جاء فقال: ((أُكِلَتِ الحمر. ثم جاءَهُ جاء فقال: أُكلَت الحمر. ثم جاءهُ جاءٍ فقال: أُفْنِيَتِ الحمر. فأمرَ مُناديًا فنادَى في الناس: إن الله ورسولَهُ يَنهَيانكم عن لحوم الحمر الأهلية. فإنها رِجْس. فأُكفِئَتِ القُدُورُ، وإنها لتَفورُ باللحم))[٨٥].

وفي رواية أخرى من حديث أبي مجزأة بن زاهر الأسلمي عن أبيه وكان ممن شهد الشجر قال: ((إني لأوقِدُ تحتَ القِدْرِ بلحوم الحُمر، إذ نادَى مُنادِي رسولِ ﷺ: إنَّ رسولَ الله ﷺ يَنهاكم عن لحومِ الحمر))[٨٦].

---

(٨٤) أخرجه مسلم ١٤٨٠.

(٨٥) أخرجه البخاري ٥٥٢٨، ومسلم ١٩٣٨ بألفاظ متقاربة.

(٨٦) أخرجه البخاري ٤١٧٣، ومسلم ١٩٣٧.

وفي استجابة الصحابة ﷺ لأمر النبي ﷺ وطاعته ما يدلل على حرصهم على ذلك فاللحوم في القدور تطبخ ولكن لما جاءهم الخبر بتحريمها استجابوا.

وهكذا شأن المسلم دائمًا أن يبادر إلى السمع والطاعة، والاستجابة والاتباع لأمر الله وأمر رسوله ﷺ كما كان هذا هو حال الصحابة ﷺ.

والنصوص في هذا الباب كثيرة ولكن نكتفي بهذه الشواهد لدلالتها على المراد في هذ المبحث.

المبحث الثالث: آثار طاعة الرسول ﷺ وثمراتها

لقد دلّت النصوص الشرعية على أن طاعة الرسول ﷺ لها آثار وثمرات طيبة تعود على المسلم في دينه ودنياه، ومن أبرز هذه الآثار والثمرات:

١- تحقيق الاتباع والاقتداء

لا يمكن للمرء أن يحقق الاتباع والاقتداء بالنبي ﷺ إلا إذا أطاعه واقتدى به كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٨٧].

قال ابن كثير رحمه الله: (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين. ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ)[٨٨].

والاتباع والتأسي بالنبي ﷺ هو "أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين فإذا قال الرسول ﷺ قولاً قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصًا به، وإذا عظّم شيئًا عظمناه، وإذا حقّر شيئًا حقرناه، وإذا رضي لنا أمرًا رضينا به، وإذا وقف بنا عند حدٍ وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ

---

(٨٧) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٨٨) تفسير القرآن العظيم، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (ط/٢، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ٦/٣٩١.

هو تجريد متابعته والتلقي عنه وحده فكما أن الرب سبحانه واحد فالرسول الذي أمرنا باتباعه واحد فهما توحيدان: توحيد المرسل وهو الله سبحانه وتعالى، وتوحيد متابعة الرسول ﷺ "(٨٩).

ولقد ظهر من خلال نصوص السنة النبوية التي ذكرنا بعضًا منها في تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم لطاعة الرسول ﷺ كيف كانوا يتبعون قوله، وينفذون أمره، ويقتدون به ﷺ في سمته وهديه ودله.

قال ابن القيم رحمه الله: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)(٩٠).

ولقد أخبر النبي ﷺ أن من يسلك سبيلاً غير سبيله ويتبع غيره فليس منه فمن حديث عبدالله بن عمرو {قال: قال رسول الله ﷺ: ((...فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))(٩١).

قال ابن حجر رحمه الله: (المراد بالسنة: الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني)(٩٢).

ومن ثم كان ديدن الصحابة رضي الله عنهم الاتباع الكامل لهدي النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((حَرَّمَ رَسُولُ اللّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيها. قال: يريد المدينة. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلَوْ وَجَدْتُ الظِّبَاءَ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا مَا ذَعَرْتُهَا))(٩٣).

وعن بكير بن الأشج أن رجلاً قال للقاسم بن محمد: (عجبًا من عائشة رضي الله عنها كيف كانت تصلي في السفر أربعًا ورسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين؟ فقال: يا ابن أخي! عليك بسنة رسول الله ﷺ حيث وجدتها فإن من الناس من لا يعاب"(٩٤).

وعن سالم بن عبدالله عن أبيه قال: قال عمر رضي الله عنه: (إذا رميتم الجمرة بسبع حصيات وذبحتم وحلقتم فقد حلّ لكم كل شيء إلا الطيب والنساء، قال سالم: قالت عائشة رضي الله عنها: أنا طيبت رسول الله ﷺ لحله قبل أن يطوف بالبيت. قال سالم: فسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع)(٩٥).

---

(٨٩) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٤.

(٩٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط ٩٦/١.

(٩١) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٩٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ٥/٩.

(٩٣) أخرجه البخاري ١٨٦٩.

(٩٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، (ط/ دار الفتح: ١٩٧٨م) ١٢٠٨/٢، وقال محققه: إسناده حسن.

(٩٥) المرجع السابق ١٢١١/٢، وقال محققه: صحيح.

وحدّث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: قال فلان وفلان كذا فقال ابن سيرين: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: قال فلان وفلان كذا؟ والله لا أكلمك أبدًا. وقال الشعبي لرجل: ما حدثوك هؤلاء عن رسول الله ﷺ فخذ به، وما قالوه برأيهم فألقه في الحش.

بل إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول: (لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ) فإذا كان الصديق الأكبر يتخوف على نفسه من الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ فماذا عسى أن يكون من زمان فيه من يستهزئ بالنبي ﷺ وأوامره ويتباهى بمخالفة سنته، نسأل الله العصمة من الزلل والنجاة من سوء العمل[٩٦].

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: لا رأي لأحدٍ مع سنة سنها رسول الله ﷺ. وقال الشافعي رحمه الله: جمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. وقال ابن خزيمة: لا قول لأحد مع رسول الله ﷺ إذا صح الخبر عنه[٩٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ودين الله مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي المعصومة وما تنازعت فيه الأمة رده إلى الله والرسول، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، يوالي عليها ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك السنة ويعادون)[٩٨].

٢- البعد عن الابتداع في الدين

ومن آثار طاعة النبي ﷺ وثمراتها أن المسلم الطائع أبعد ما يكون عن الابتداع في الدين.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: (وليعلم أن التمسك بالسنة من آثاره أن الإنسان يرفض البدعة لأن النبي ﷺ قال: ((خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا))[٩٩]، فجعل الإحداث مقابلاً للسنة فإذا كان مقابلاً لها فكلما اشتد تمسك الإنسان بسنة النبي ﷺ كان ذلك أبعد له من البدعة فتجده يرفض البدعة ولا يمكن أن يتعبد لله إلا بشيء قد شرعه الله عز وجل لأنه متبع للسنة وهذا من الآثار العظيمة وهي: نبذ البدع لأنه متمسك بالسنة ونبذُ البدع وكراهتها: من نعمة الله تعالى على العبد،

---

(٩٦) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني. بحث منشور بكتاب المنتدى الإسلامي: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال. إصدار مجلة البيان، (ط/١. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ص ١١٦.

(٩٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٢/٢٠١.

(٩٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم، (ط/ دار التقوى للنشر والتوزيع) ٢٠/١٦٤.

(٩٩) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل رقم ٤٥، وقال الألباني: صحيح، انظر: سنن ابن ماجه رقم ٤٣.

وهو - أعني: نبذ البدعة - كنبذ الشرك؛ وذلك لأن العبادات كلها لا تتم إلا بإخلاص النية المنافي للشرك، وإخلاص الاتباع المنافي للبدعة)[١٠٠].

إن المسلم الموفق الطائع للنبي ﷺ لا يقع في الابتداع في الدين لأنه يعلم أن كل بدعة ضلالة.

قال ابن حجر رحمه الله: (وقوله: "كل بدعة ضلالة" قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها أما منطوقها فكأن يقال: حكم كذا بدعة، وكل بدعة ضلالة، فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله هدى. فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة، صحت المقدمتان وأنتجتا المطلوب)[١٠١].

ولقد أخبر النبي ﷺ أن كل عمل يخالف سنته وطريقته مردود على صاحبه لا يقبل منه أبدًا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ فيهِ فهوَ رَدّ))، وفي رواية لمسلم: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[١٠٢].

فهذا الحديث يدل على رد كل عمل لا يوافق الشرع وطاعة النبي ﷺ أصل الشرع فالطائع للنبي ﷺ عمله مقبول، والمخالف والمبتدع عمله مردود.

قال النووي رحمه الله: (وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به)[١٠٣].

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أن حديث: "الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء، وقوله: "ليس عليه أمرنا" إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها فمن كان عمله جاريًا تحت أحكام الشريعة موافقًا لها فهو مقبول ومن كان خارجًا عن ذلك فهو مردود)[١٠٤].

---

(١٠٠) التمسك بالسنة النبوية وآثاره، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٦ - ١٧.

(١٠١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٦٧/١٣.

(١٠٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(١٠٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٠٥.

(١٠٤) جامع العلوم والحكم، زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير "بابن رجب الحنبلي"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. وإبراهيم باجس. (ط/٨. مؤسسة الرسالة. بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ١٧٦/١ - ١٧٧.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله: (إن المحافظة على عموم قول النبي ﷺ "كل بدعة ضلالة" متعين، وأنه يجب العمل بعمومه، ومعلوم أن كل ما لم يسنه ولا استحبه رسول الله ﷺ، ولا أحد من هؤلاء الذين يقتدي بهم المسلمون في دينهم فإنه يكون من البدع المنكرات، فمن اتخذ عملاً من الأعمال عبادة ودينًا وليس ذلك في الشريعة واجبًا ولا مستحبًا فهو ضال باتفاق المسلمين)[١٠٥].

وخلاصة هذا أن الثمرة التي يحصلها من حقّق الطاعة والاتباع للنبي ﷺ أنه بمأمن عن الابتداع في الدين بل وعن قبول البدع من أحدٍ فضلاً عن العمل بها، ولا يخفى ما في الابتداع من خطر على المسلم.

قال الشاطبي رحمه الله: (فاعلموا أن البدعة لا يقبل معها عبادة من صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا غيرها من القربات ومجالس صاحبها ينزع منه العصمة ويوكل إلى نفسه، والماشي إليه وموقره معين على هدم الإسلام فما الظن بصاحبها! وهو ملعون على لسان الشريعة، ويزداد من الله بعدًا، وهي مظنة إلقاء العداوة ومانعة من الشفاعة المحمدية، ورافعة للسنن التي تقابلها، وعلى مبتدعها إثم من عمل بها، وليس له من توبة، وتلقي عليه الذلة والغضب من الله، ويبعد عن حوض رسول الله ﷺ ويخاف عليه سوء الخاتمة عند الخروج من الدنيا ويسود وجهه في الآخرة ويعذب بنار جهنم وقد تبرأ منه رسول الله ﷺ وتبرأ منه المسلمون، ويخاف عليه الفتنة في الدنيا زيادة إلى عذاب الآخرة)[١٠٦].

٣- تحقيق محبة النبي ﷺ

ومن آثار طاعة النبي ﷺ وثمراتها تحقيق الطائع لمحبة النبي ﷺ، فلا يقبل من إنسان يدَّعي محبة النبي ﷺ وهو يخالفه ويفارقه، فالطاعة والاتباع هي ثمرة ودليل المحبة.

والمحبة من مطلوبات الشرع وقد دلّت النصوص النبوية على ذلك، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أكونَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ والِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعين))[١٠٧].

قال النووي رحمه الله: (قال الخطابي: لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، قال: فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك)[١٠٨].

وقال القاضي عياض رحمه الله: (جمع ﷺ تحت لفظه هذا القليل معاني كثيرة إذ أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة رحمة وإشفاق كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة الناس

---

(١٠٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ١٠/٣٧٠.

(١٠٦) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد حسنين مخلوف، (ط/١٠، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٨م) ١/١٠٦ - ١٠٧.

(١٠٧) أخرجه البخاري ١٥. ومسلم ٤٤.

(١٠٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١.

بعضهم بعضًا فجمع ﷺ ذلك كله في محبته، ومن الإشفاق في محبته نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمنى حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه، وإذا تحقق ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق رفع قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن)[١٠٩].

وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان: أَنْ يَكونَ اللّهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ لله، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النّار))[١١٠].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (ومحبة النبي ﷺ على درجتين:

إحداهما: فرض: وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به وطاعته فيما أمر به من الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه.

الدرجة الثانية: فضل وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة)[١١١].

إن أقوى شاهد على صدق الحب - أيًا كان نوعه - هو موافقة المحب لمحبوبه، "وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه فذلك هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح فالصادق في حب النبي ﷺ هو من أطاعه واقتدى به وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه، وظهرت آثار ذلك عليه من موافقته في حب ما يحبه، وبغض ما يبغضه فسعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي ﷺ وأن شقاء من شقي، وهلاك من هلك إنما كان بسبب مخالفته لما جاء به الرسول ﷺ"[١١٢].

قال القاضي عياض رحمه الله: (اعلم أن من أحب شيئًا آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبه وكان مدعيًا فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع

---

(١٠٩) إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٢٨٠ - ٢٨١.

(١١٠) أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣.

(١١١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، ابن رجب الحنبلي، (ط/ مطبعة الإمام، مصر) ص ٣٤ - ٣٥.

(١١٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، (ط/ إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤١٤هـ) ص ٦٦.

أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وإيثار ما شرعه على هوى نفسه وموافقة شهواته)[١١٣].

هذا وقد جاء في الحديث أيضًا عن عبدالله بن عمرو بن العاص { قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ))[١١٤].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (وأما معنى الحديث فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به، ويكره ما نهي عنه. والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله ﷺ، وقد وصف الله تعالى المشركين باتباع الهوى، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه)[١١٥].

وبالجملة فمن أطاع رسول الله ﷺ واتبعه فقد حقق محبته التي فرضها الله على العباد.

٤- تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ

ومن آثار طاعة النبي ﷺ وثمراتها أن المسلم بهذه الطاعة يحقق شهادة أن محمدًا رسول الله، وبدون ذلك يكون تحقيق الركن الأول من أركان الإسلام ناقصًا غير كامل، ولا يقبل من أحد أن يشهد أن محمدًا رسول الله، ثم لا يطيع هذا الرسول، ولذا قال النبي ﷺ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ حَتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأَنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، ويُقِيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهُم إِلاّ بِحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه))[١١٦].

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ: (ومن حقيقة شهادة أن محمدًا رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والاستجابة لدعوته ﷺ فقد جعل الله طاعة الرسول ﷺ طاعة له سبحانه، ومن حقيقة هذه الشهادة

---

(١١٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٢/٢٤.

(١١٤) أخرجه البغوي في شرح السنة ١/٢٣١، رقم ١٠٤ من طريق نعيم بن حماد به، وأخرجه الحافظ ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم ١٥، وقال الألباني: ضعيف، انظر: السنة، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: د. باسم الجوابرة ١/٤٦.

(١١٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٩٨.

(١١٦) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ٢٢.

العظيمة الاقتداء والتأسي به ﷺ واتباع سنته وقد أجملها الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقال في معناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع)[١١٧].

إن المسلم عندما يقول: أشهد أن محمدًا رسول لله فمعناه أقر وأصدق التصديق الجازم من صميم قلبي المواطئ لقول لساني بأن محمدًا عبدالله ورسوله إلى الناس كافة ومن ثمَّ "فيجب تصديق رسول الله ﷺ فيما أخبر به من أخبار ويطيعه في كل أمر وينتهي عما نهى عنه ويتبع شريعته، ويلتزم سنته فالشهادة للرسول بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد لا تكفي إحداهما عن الأخرى، وجميع الدين داخل في الشهادتين إذ مضمونها أن لا نعبد إلا الله وأن نطيع رسوله ﷺ، والدين كله داخل في هذا عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وكل ما يجب أو يستحب داخل في طاعة الله ورسوله"[١١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله، ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمدًا هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره، وقد بيّن لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة فكما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين إلا بالله، وأن لا تكون عبادتنا إلا لله فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ﷺ ونطيعه، ونتأسى به فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه)[١١٩].

وقال الشيخ محمد هراس: (ولقد جعل الله الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة والعبودية مقرونًا بالشهادة لله بالتوحيد، للإشارة إلى أنه لا بد من كل منهما، فلا تغني إحداهما عن الأخرى، ولهذا قرن بينهما في الأذان والتشهد، وهذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته ﷺ لربه، وكمال رسالته، وأنه فاق جميعَ البشر في كل خصلة كمالُه، ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر به، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهى عنه)[١٢٠].

---

(١١٧) حقيقة شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، (ط/ ونشر الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، ١٤٢٩هـ) ص ٧٨.

(١١٨) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لابن تيمية، الشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان، (ط/٦، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص ٤٣.

(١١٩) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح: الشيخ عبدالعزيز الراجحي، (ط/١، دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص ١٧٢.

(١٢٠) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، (ط/٨، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص ٩٠.

والواجب على المسلم أن يبادر إلى طاعة الرسول ﷺ وامتثال أمره واتباع قوله وفعله حتى يحقق الشهادتين تحقيقًا كاملاً فلا طريق إلى معرفة ما يحبه الله وما يرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه.

قال الشيخ حافظ الحكمي: (والشهادتان هما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ فلا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه، ولهذا لم يدع الرسول ﷺ إلى شيء قبلها، ولم يقبل الله تعالى، ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئًا دونهما، فبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب له، وبالثانية يعرف كيف يعبده، وبأي طريق يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر الله أن يُعبد؟

ففي الشهادة الأولى: توحيد المعبود الذي ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وفي الشهادة الثانية توحيد الطريق الذي لا يوصل إلى الله تعالى منه وبالجملة فشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ والإيمان به هو شرط في الإيمان بالله، وما كان من شرط في الشهادة الأولى فهو شرط في الثانية)[١٢١].

ومما سبق تتضح آثار طاعة الرسول ﷺ وثمراتها التي تعود على المسلم فالواجب الاستمساك بذلك والحرص والثبات عليه، وعدم الانحراف عنه.

الخاتمة

لقد اتضح من خلال هذا البحث والتأكيد على جوب طاعة النبي ﷺ، وتم إبراز فضل طاعة الرسول ﷺ فهي من طاعة الله تعالى، وأنها سبب لدخول الجنة، ووسيلة النجاة في الدنيا والآخرة، وهي تعصم صاحبها من الانحراف والضلال والزيغ.

وكذلك تم إبراز تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم العملية وتجسيدهم لطاعة النبي ﷺ من خلال مواقف متعددة حرصوا فيها على الالتزام بتوجيهات النبي ﷺ وتقديم طاعته على رغبات النفس، وذلك لعلمهم وإدراكهم أن سعادتهم في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ.

واتضح جليًا أيضًا من خلال هذا البحث الآثار والثمرات التي تعود على العبد عندما يلتزم بطاعة النبي ﷺ فهي التطبيق العملي، والترجمة الحقيقية لمحبة النبي ﷺ، وبها يحقق العبد الاتباع والاقتداء، وهذه الطاعة تبعده عن الابتداع في الدين، وتحفظه من أهل البدع والأهواء وأعمالهم، وبهذه الطاعة يعمل بمقتضى الشهادتين التي هي

---

(١٢١) معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، (ط/ دار ابن الجوزي، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ٢/٧٧٠.

المطلوب الأول من العبد، مما يدلل كذلك على أهمية التزام العبد بهذه الطاعة ومداومته عليها، ومّما ينبغي التنبّه له هو أنّ من أبرز الأهداف الشرعية الباعثة لطاعة النبي ﷺ حتى تكون عبادة المسلم وفق الهدي الشرعي، لأن اتّباع النبي محمد ﷺ شامل لاتباعه في جميع أقواله وأفعاله، وتقريراته، ولقد كانت حياة نبينا محمد ﷺ منهجًا عمليًا للأمة في سائر أحواله ﷺ حتى أصبح الاقتداء به دينًا والتأسي به فضيلة. وقد سعيت جاهدًا بفضل الله في هذا البحث إلى إيضاح هذه المسائل وتجليتها، أسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممّن يحشر في زمرة نبينا محمد ﷺ.... وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

[١] *اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين*، فيصل بن علي البعداني، بحث منشور بكتاب المنتدى الإسلامي: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، إصدار مجلة البيان، ط/١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٢] *استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس*، ابن رجب الحنبلي، ط/ مطبعة الإمام، مصر.

[٣] *الاعتصام*، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد حسنين مخلوف، ط/١٠، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٨م.

[٤] *أعلام الموقعين عن رب العالمين*، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ط/ دار الجيل، بيروت.

[٥] *إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى شرح صحيح مسلم للقاضي عياض*، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط/٣، دار الوفاء، المنصورة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[٦] *بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين*، أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، ط/١، دار ابن الجوزي، السعودية: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

[٧] *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي*، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ط/٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ١٤٠٦هـ.

[٨] *تفسير القرآن العظيم*، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط/٢، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٩] *جامع العلوم والحكم*، زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي الشهير "بابن رجب الحنبلي"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ط/٨، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[١٠] *جامع بيان العلم وفضله*، ابن عبدالبر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط/ دار الفتح: ١٩٧٨م.

[١١] *حقيقة شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ*، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، ط/ ونشر الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، الرياض: ١٤٢٩هـ.

[١٢] *دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين*، محمد بن علان الصديقي الشافعي، ط/ دار الحديث، القاهرة.

[١٣] *زاد المعاد في هدي خير العباد*، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، ط/٢، المكتبة التوفيقية: ١٩٨٠م.

[١٤] *سير أعلام النبلاء*، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

[١٥] *شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ"الكاشف عن حقائق السنن"*، شرف الدين حسن بن محمد بن عبدالله الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، وغيره، ط/١، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان: ١٤١٣هـ.

[١٦] *شرح العقيدة الطحاوية*، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/٨، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

[١٧] *شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية*، شرح: أ. د. صالح بن عبدالله الفوزان، ط/٥، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤١١هـ.

[١٨] *شرح رياض الصالحين*، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ضبط وتخريج وتعليق: د. محمد حسن، محمود حسن محمود، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

[١٩] *شرح رياض الصالحين*، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ط/١، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

[٢٠] *شرح صحيح مسلم*، الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

[٢١] *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[٢٢] *صحيح سنن ابن ماجه*، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت.

[٢٣] *صحيح سنن أبي داود*، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

[٢٤] *صحيح سنن الترمذي*، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

[٢٥] *صحيح سنن النسائي*، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت.

[٢٦] *صحيح مسلم*، أبو الحسن مسلم ابن الحجام القشيري النيسابوري، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. نشر وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

[٢٧] *العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية*، شرح: الشيخ عبدالعزيز الراجحي، ط/١، دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[٢٨] *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*، بدر الدين أبو محمد بن أحمد العيني، ط/ دار الفكر، بيروت.

[٢٩] *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط/٢، دار الريان، القاهرة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[٣٠] *قصص الرسول ﷺ وأصحابه في صحيح الحديث النبوي*، د. عمر سليمان الأشقر، ط/١، دار النفائس، الأردن: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

[٣١] *الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لابن تيمية*، الشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان، ط/٦، مطبعة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

[٣٢] *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ط/ دار التقوى للنشر والتوزيع.

[٣٣] *محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع*، عبدالرؤوف محمد عثمان، ط/ إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤١٤هـ.

[٣٤] *مدارج السالكين بين منازل إياك وإياك نستعين*، شمس الدين ابن القيم، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٣٥] *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، فهرس الرواة: محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مؤسسة قرطبة، القاهرة.

[٣٦] *معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد*، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط/ دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٣٧] *معالم السنن*، مطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، وتهذيب السنن لابن القيم، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ دار المعرفة، بيروت.

[٣٨] *المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم*، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين، ط/٣، دار ابن كثير، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م..

[٣٩] *مكانة السنة في الإسلام*، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان، ط/٣، وقف الإسلام الخيري: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[٤٠] *منزلة السنة في الإسلام*، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/٤، الدار السلفية: ١٤١٤هـ/١٩٨٤م.

[٤١] *نزهة المتقين شرح رياض الصالحين*، د. مصطفى البغا وآخرين، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

Obedience of the Prophet Peace be Upon him in the Prophecy Sunnah

Khalid Bin Ibrahhim Bin Sulaiman Al-Roumi
Particpate Teacher in Al-Souna Division & Sciences In Colledge of Osoul Al- Dein
Imam Mohammed Bin Saud Al- Eslamiah Universty

(Received 23/6/1430H. ; accepted for publication 10/2/1431H.)

Abstract. Thank God and peace be upon the messenger of God.

It is among the affirmations original constants in Islam that we must obey the prophet peace be upon him because God imposed his obedience on us and the prophet as well. It is a part of god obedience. Many texts in Quran and the Prophecy Sunnah affirmed the grace of the prophet obedience peace be upon him.

The following are among its grace:

1. It is part of God Obedience.
2. It is a cause to enter the Paradise.
3. It is a way of rescue in both the present life and the last life.
4. It protects from deviation and going astray.

The research exhibited a number of practical applications for the companions of the prophet, God gratify them concerning their obedience to the prophet peace be upon him in the prophecy Sunnah.

Also, the research proved the merits of the prophet's obedience. Among these are the following:

1. Ensuring following and imitation.
2. Being away from heterodoxy in religion.
3. Ensuring the prophet's passion peace be upon him.
4. Ensuring the testimony that Mohamed is the messenger of God.

This was clarified, with the help of God through what has mentioned in the prophecy Sunnah and sayings of learned people and their certification through the original scientific sources in this investigation.

We ask God honesty by word and deed. God's blessing and peace be upon our prophet Mohamed, his family and his companions all.

مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد (٣)، العدد (١)، ص ص ٢٥٣-٢٨٨ (يناير ٢٠١٠م / محرم ١٤٣١هـ)

ختان الأُنثَى
"دراسة حديثية فقهية"

سليمان بن عبد الله القصير

الأستاذ المساعد بقسم السنة وعلومها

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

(قدم للنشر ١٤٣٠/١١/١٤هـ؛ وقبل للنشر ١٤٣١/٤/٢٠هـ)

ملخص البحث: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن هذا البحث يشتمل على جمع الأحاديث التي تدل على ختان الأنثى، ودراستها من الناحية الحديثية والفقهية، وقد تضمن هذا البحث مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

وقد ذكرت في المقدمة أهمية البحث وخطته والمنهج فيه.

وفي التمهيد بينت معنى الختان في اللغة والاصطلاح، والحكمة من تشريعه.

وفي الفصل الأول: درست الأحاديث المرفوعة، وهي ثمانية أحاديث، والأحاديث الموقوفة، وهي أربعة أحاديث.

وفي الفصل الثاني: ذكرت فقه الأحاديث، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حكم ختان الأنثى.

المبحث الثاني: بيان القدر الذي يؤخذ في ختانها.

ثم الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

ثم فهرس المراجع للبحث.